علي (ع) الحكم.. معالم من السيرة الخالدة

المناسبة: ذكرى استشهاد أمير المؤمنين (ع)

الزمان والمكان: 21 رمضان 1422هـ ــ طهران

الحضور: جموع غفيرة من المصلين

أجواء الكلمة

في يوم ذكرى استشهاد أمير المؤمنين علي (ع)، أمّ ولي أمر المسلمين وقائد الثورة الإسلامية سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (دام ظله) المصلين في صلاة الجمعة بطهران، حيث تطرق سماحته في الخطبة الأولى إلى ملامح من السيرة الفريدة لأمير المؤمنين (ع) في الحكم، وشدّد على ضرورة جعلها قدوة لمسؤولي النظام الإسلامي في إدارتهم للحكم.

وفي الخطبة الثانية تحدث سماحته عن قضيتين مهمتين يواجههما العالم الإسلامي في الظرف الراهن، وهما القضية الأفغانية حيث قدم سماحته بشأنها بعض الملاحظات.

والقضية الأهم وهي القضية الفلسطينية، واستغلال الكيان الصهيوني الغاصب لأحداث 11 سبتمبر في أميركا والحدث الأفغاني لتضييق الخناق وارتكاب الجرائم والإرهاب ــ بدعم أمريكي بريطاني ــ بحق الشعب الفلسطيني المسلم، داعياً العالم الإسلامي وبالخصوص شعوبه إلى تحمل مسؤولياتها لاتخاذ المواقف الحاسمة تجاه العدو الصهيوني الغاصب ومن يقف خلفه.

العناوين الرئيسية في خطبتي سماحته:

* الخطبة الأولى:

ــ سيرة أمير المؤمنين (ع) في الحكم

ــ نماذج من سيرة أمير المؤمنين (ع) في الحكم

ــ إننا مكلفون باقتفاء سيرة أمير المؤمنين (ع)

ــ آلام أمير المؤمنين (ع)

* الخطبة الثانية:

ــ قضيتان هما الأهم للعالم الإسلامي

ــ نكات بشأن القضية الأفغانية

ــ أمريكا وبريطانيا شريكتان في الجرائم الصهيونية

ــ واجب البلدان والشعوب الإسلامية

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوكل عليه؛ ونصلّي ونسلم على حبيبه ونجيبه وخيرته في خلقه سيدنا ونبينا أبي القاسم المصطفى محمد وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين لاسيّما بقية الله في الأرضين؛ وصل على أئمة المسلمين وحماة المستضعفين وهداة المؤمنين.

سيرة أمير المؤمنين (ع) في الحكم

قال الله تعالى في كتابه الحكيم: {ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد}[1].

اليوم يوم استشهاد أمير المؤمنين "ع" ويوم استذكار المقام الشامخ لإمام المتقين والزاهدين، وفي البداية أدعوكم جميعاً أيها المستمعون والمصلون الأعزاء لإلتزام التقوى؛ فإن أردنا أن يكون أمير المؤمنين إمامنا فلنكن مؤمنين ومتقين، فهو إمام المتقين والمؤمنين.

ممّا يستحيل نسيانه بخصوص أمير المؤمنين "ع" تلك المعالم العملية والسلوكية التي تجلّت خلال البرهة الوجيزة من حكمه "ع" على امتداد البلاد الإسلامية الشاسعة وخلّدها التاريخ.

إنّ للمراتب المعنوية والشمائل الأخلاقية والشخصية التي تحلّى بها هذا الرجل العظيم شأنها؛ فلو راجعتم المصادر ستجدون فصولاً مسهبةً تتعرض لبيان ملامح أمير المؤمنين، فعلمه وتقواه وشجاعته وسابقته في الإسلام وزهده وما شابه ذلك، كلها مما يفوق مستوى الحصر المتعارف ومن العظمة ما يثير الدهشة، وكل منها كالشمس الساطعة في بريقها، بَيْدَ أنّ ما أراه يسمو عليها جميعاً هو سيرة هذا الحكيم في الحكم التي تعد موضع امتحان جوهري، حيث تصبح السلطة بَيْدَ أمير المؤمنين وهي سلطة تمتد على بقعة شاسعة في البلاد.

---

[1] سورة البقرة، الآية: 207.

فلتكن هذه السيرة الفريدة من نوعها والتي تثير الإعجاب قدوة لنا؛ وكل المطّلعين على سيرته"ع" في الحكم إنما يتحسّرون أسفاً على قصر مدّة حكمه؛ لأن هذا النهج لو قدّر له الاستمرار سنوات عديدة فلربما تغيّر مسار التاريخ العالمي، ولو كتب لهذا النموذج الدوام وأصبح في متناول البشرية سنوات مديدة فلربما انعطف مصيرها, ولم تبرز إلى الوجود هذه القوى القائمة على الفساد والثروة والشهوة والغطرسة والإجحاف, والتي شهدها التاريخ, وجرّت البشرية نحو الظلمات وغياهبها.

وفي الوقت الحاضر فإن هذا النموذج ماثل أمامنا, وما يشغل بالي ويستحوذ على اهتمامي أكثر من غيره هو ضرورة اقترابنا نحن في نظام الجمهورية الإسلامية من هذا الأنموذج، ولو تحقق ذلك فسيتنعّم شعبنا الإيراني ويتبعه العالم الإسلامي بأسره والبشرية قاطبة بحكومتنا، ويجب أن تتركز كل مساعينا وجهودنا على أن نقترب من هذه النماذج.

إنّ حكومة أمير المؤمنين بمثابة الأسوة على صعيد إقامة العدل والدفاع عن المظلوم ومقارعة الظالم وملازمة الحق في جميع الأحوال، ولابدّ من الاحتذاء بها؛ وهذا مما لا يبلى، فبوسعه أن يغدو قدوة في ظل جميع الظروف التي تمرّ بها الدنيا علمياً واجتماعياً لتحقيق السعادة لبني الإنسان، ونحن لا نريد تقليد ذات النهج الإداري لتلك الحقبة, وندّعي أنه مما يخضع للتطور الزمني, ونقول باستمرار ولادة المناهج الحديثة يوماً بعد يوم، بل إننا نصبو لاقتفاء أثر المسار الذي اختطّته تلك الحكومة والذي حاز الخلود إلى الأبد؛ فالدفاع عن المظلوم صفحة زاهرة على الدوام؛ وعدم مسالمة الظالم، ورفض الارتشاء من المتجبّر الثري، والثبات على الحقيقة، كلها من الأمور التي لا ينتابها القدم في الدنيا أبداً؛ ولها شأنها تحت ظل مختلف الأوضاع والظروف، وعلينا الاقتداء بها؛ لما تمثّله من أصول، وإنّ ما نطلق عليه الحكم الأصولي إنما يعني الاقتداء بمثل هذه القيم الخالدة التي لا تبلى والثبات عليها.

إنّ أشدّ ما يثير حفيظة الطغاة والجبابرة في العالم هو الثبات؛ وإنهم ليسوؤهم ما تقدّمه الحكومة الإسلامية في إيران من تأييد للشعب المظلوم في فلسطين أو أفغانستان, أو عدم مهادنتها لدولة مستكبرة معيّنة في العالم؛ وهذا هو السبب الذي يكمن وراء ما ترونه من تناقل أيدي وأبواق أعداء هذا الشعب للأصولية كإسم قبيح! فهذه الأصول هي التي تلحق الضرر بعتاة الدنيا وجبابرتها فيناوئونها، وهي ذات الأمور التي حورب الإمام أمير المؤمنين "ع" بسببها في حينه، ونحن كحكومة يجب أن تنصبّ جهودنا في هذا الاتجاه.

ربّ سائل يسأل: ما الداعي لأن تطرحوا هذه القضايا أمام الجماهير؟ أصدروا التعليمات الكفيلة بأن يتطبّع مسؤولو الدولة على مثل هذه السيرة، أو قدمّوا النصائح لهم.

إنّ هذه الأمور بأجمعها أو أغلبها لا تتأتّى عبر التعليمات والأوامر، وإنما تتحقق عبر الإيمان والقناعة والاعتماد بالحقيقة, وعبر عزيمة وإرادة صلبة مصدرها الإيمان.

وبطبيعة الحال فإننا نعزز تلك الحالات التي تتوقّف على التعليمات, بما تحتاجه, ونصدر إيعازاتنا للمسؤولين بخصوص القضايا التي تتوقّف على الأوامر، بَيْدَ أنّ الإيعازات والتعليمات لا تعد مفتاح حل في الأمور جميعاً؛ كما أننا نقدّم النصيحة للمسؤولين, غير أنّ النصح بدوره ليس بكاف أيضاً.. فهذه الحقائق لابد أن تتبلور وسط المجتمع كمبدأ عرفي وتغدو من مطالبه؛ فعلى الجماهير في ظل النظام الإسلامي أن تطالب المسؤولين بالتصدّي للظلم والظالم والمفسد، ويجب أن تتحوّل مقارعة الظلم وعدم مساومة الظالم ورفض الاستسلام أمام العنجهية والمحافظة على الإنسان وإنسانيته, والسعي لإحقاق الحق بكل صوره وأشكاله وميادينه إلى ملاك في قبولهم للحاكم أو المسؤول الرفيع المستوى في النظام.

نماذج من حكمه(ع)

وتأسيساً على هذا فإنني أطرح هذه الأمور أمام الملأ العام مثلما خاطب أمير المؤمنين "ع" الأمة بمثل هذه القضايا؛ فكتبه "ع" بالرغم من أنها كانت موجّهة إلى أشخاص معينين, بَيْدَ أنّ الجميع كانوا يطّلعون عليها؛ وكذا الخطب التي كان "ع" يدلي بها بمرأى من أنظار الأمة؛ وإليكم نماذج من ذلك:

في مستهل حكومته ساوى أمير المؤمنين "ع" في تقسيم بيت المال بين الناس؛ لأن الأمور سارت على مدى ما يقرب من عشرين عاماً قبل مجيء أمير المؤمنين على تفضيل البعض لسابقتهم في الإسلام, أو انتمائهم للمهاجرين أو الأنصار أو... على من سواهم، فكان يجري تقسيم ما يجبى إلى بيت المال من غنائم وزكوات على الأشخاص فرادى، وهكذا جرت العادة في المجال المالي يوم ذاك, ولم تكن على ما عليه المؤسسات الحكومية في عالم اليوم، وكان دأبهم يومئذ تفضيل البعض في العطاء، فجاء "ع" وألغى ما كان سائداً، إذ قال: من كان متديّناً وأكثر إيماناً فأجره على الله، ومن كان ذا قوةٍ ويسعى في حياته لكسب المال فله ما كسب، أما بيت المال فإنني أقسمه بالسوية. فجاءه البعض مشفقاً محذراً من أنّ نتيجة ذلك ستكون الإخفاق وتدفع بالبعض إلى الوقوف بوجهك! فردّ "ع": "أتأمرونّي أن أطلب النصر بالجور فيمن ولّيت عليه؟! والله

أطور به ما سمر سمير وما أمّ نجم في السماء نجماً"[2]، فأمير المؤمنين "ع" يرفض كسب التأييد على حساب الظلم والجور.

وفي موضع آخر يقول في كتابه المعروف إلى عثمان بن حنيف:

"ألا وإنّ لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور عمله، إلاّ وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه"[3].

وهنا يشير أمير المؤمنين "ع" إلى ملبسه ومأكله اللذين كان يشابه بهما أفقر الناس يومها، ويقول أنا إمامكم أعيش هكذا حياة.

ثم يقول لابن حنيف: "ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد"[4]؛ وذاك ما يخاطبنا به أمير المؤمنين "ع" اليوم: تجنّبوا المخالفات والذنوب وما كان غير مشروع، واجتهدوا للاقتراب بأنفسكم ممّا وسعكم الوصول إليه.

مرفوض منّا أن نختار مساراً يعاكس الاتجاه الذي سلكه أمير المؤمنين "ع"؛ فلقد كان "ع" ينحو باتجاه التقتير على نفسه، أما المسؤول ــ الرفيع المستوى ــ في دولتنا فيجعل هدفه من تقبل المسؤولية والتكليف عمارة دنياه! وهذا أمر مرفوض وغير ممكن، ولقد سبق منّي القول في مثل هذه الأيام من العالم الماضي: أننا نرفض لمسؤولٍ كبير في نظام الجمهورية الإسلامية أن يعتبر مسؤوليته كسباً شأنه في ذلك كأي كاسب، فالمسؤوليات العليا في نظام الجمهورية الإسلامية ليست كسباً ولا ثروة يسعى المرء وراءهما لتدبير حياته، ولا يحق للمسؤول في نظام الجمهورية الإسلامية النظر إلى الأعيان والأشراف والأثرياء فيقرن حياته إلى حياتهم، ولا يحق له المقارنة بينه وبين نظائره وأقرانه في الحكومات الطاغوتية.

أجل، فالوزير أو المدير أو الرئيس في الأنظمة الطاغوتية يتمتعون بضروب خاصة من الحياة، ولكن أن نأتي ونقارن أنفسنا بهم على أننا وزراء ومدراء فهذا مرفوض! فالوضع في ظل النظام الإسلامي ليس كذلك؛ إذ إنّ المسؤولية في النظام الإسلامي ليست طعمة، بل هي تكليف وخدمة وواجب يطوّق عنق المرء؛ وهذا ما يعلّمنا إيّاه أمير المؤمنين "ع"[5].

---

[2] نهج البلاغة: 146 الخطبة (126) له (عليه السلام) لما عوتب على التسوية في العطاء.

[3] نهج البلاغة: 358 كتاب (45) له (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف الأنصاري و هو عامله على البصرة.

[4] نفس المصدر.

[5] نهج البلاغة: 312 كتاب (5): «وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ وَلَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ».

وفي أحد المواضع يخاطب ابن عباس قائلاً: "فلا يكن حظك في ولايتك مالاً تستفيده ولا غيظاً تشتفيه"[6]؛ أي لا يكن ما تجنيه من ولايتك التي بعثناك إليها مالاً أو نقمة تفرغها على واحد من بني البشر، كأن تستغل السلطة ضد فرد أو فئة أو طبقة نحن على خلاف معها، فذلك مما لا يجوز لك، ثم يقول "ع":

"ولكن إماتة باطلٍ وإحياء حق"، أي إنّ نصيبك من هذه الحكومة أن تميت باطلاً أو تقيم حقاً"[7].

وجاء أحدهم عند أمير المؤمنين "ع" يطلب مالاً، فيقول: "إنّ هذا المال ليس لي ولا لك، وإنما هو فَيءٌ للمسلمين وجلب أسيافهم، فإن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم، وإلا فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم"[8].

هذا هو منطق أمير المؤمنين "ع" في تعامله مع مثل هذه الأمور؛ فلقد كان تطبيق العدالة والدفاع عن المظلوم والشدة مع الظالم ــ أيّاً كان الظالم وأيّاً كان المظلوم ــ مهم بالنسبة لأمير المؤمنين "ع".

لم يجعل أمير المؤمنين من الإسلام شرطاً للدفاع عن المظلوم؛ فأمير المؤمنين المتمسّك بالإسلام، المؤمن من الطراز الأول، أمير الفتوحات الإسلامية، لم يضع الإسلام شرطاً في دفاعه عن المظلوم؛ ففي واقعة "الأنبار" ــ وهي إحدى مدن العراق ــ حيث أغارت مجموعة من أتباع حكومة الشام على المدينة وقتلوا واليها المنصوب من قِبَل أمير المؤمنين, وحملوا على الناس وداهموا البيوت وقتلوا عدداً من الناس ثم قفلوا راجعين، خطب أمير المؤمنين "ع" تلك الخطبة التي تعد من الخطب العواصف التي وردت في نهج البلاغة، وهي خطبة الجهاد[9]، حيث يقول "ع": "إنّ الجهاد باب من أبواب الجنة"، قاصداً فيها حثّ الناس على التحرّك؛ لمواجهة هذا الظلم الشنيع، فيقول: "ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة"، فلا فرق لدى أمير المؤمنين "ع" من أن تكون المرأة المعتدى عليها من أهل الكتاب ــ يهودية أم مسيحية أم مجوسية ــ أو مسلمة، فهو "ع" يذكّرهنّ بلسان حال واحد، "فينتزع حجلها

---

[6] بحار الأنوار: ج 4، ص 328.

[7] نفس المصدر.

[8] نهج البلاغة: 271. ومن كلام له (223) عليه السلام كلم به عبد الله بن زمعة وهو من شيعته.

[9] نهج البلاغة: 35. الخطبة: (27).

وقلبها وقلائدها ورعائها، ما تمتنع منه إلاّ بالاسترجاع والاسترحام!"، ثم يقول أمير المؤمنين "ع": "فلو أنّ امرأً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً"!

وفي كتابه المشهور لمالك الأشتر حيث يحدد له فيه طبيعة التعامل مع الناس, وأن لا يكون سبعاً ضارياً، يردف كلامه قائلاً: "فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق"[10].

وبناءً على هذا؛ فإن الإسلام ليس مناطاً بالنسبة لأمير المؤمنين "ع" في دفاعه عن المظلوم وإحقاق حقوق الإنسان، فالمسلم وغير المسلم كلاهما يتمتع بهذا الحق.

انظروا أي منطق رفيع هذا, وأي لواء خفّاق رفعه أمير المؤمنين "ع" على مرّ التاريخ! وهناك الآن نفر يهتفون باسم حقوق الإنسان في العالم زوراً ورياءً, وهم لا يراعون للإنسان حقوقاً أبداً حتى داخل بلدانهم, ناهيك عن سائر أصقاع الدنيا، فحقوق الإنسان بمعناها الحقيقي تلك التي صرّح بها أمير المؤمنين "ع" وعمل بها.

إننا مكلفون باقتفاء سيرة أمير المؤمنين (ع)

إننا اليوم مكلّفون، وفي هذا العام الذي حمل إسم "عام السيرة العلوية"، أن نقتفي سيرة أمير المؤمنين "ع"، وإذا ما رفع شعار مكافحة الفساد المالي والاقتصادي فعلى كل موالٍ لأمير المؤمنين "ع" التحرّك خلف هذا الشعار؛ وعلى كل داعية للصلاح والإصلاح بالمعنى الحقيقي للكلمة التحرك صوب هذه المهمة؛ وعلى الأجهزة المختصّة ــ سواء السلطة القضائية أو التنفيذية أو التشريعية ــ أن تعتبر نفسها مكلّفة بتحقيق هذا الشعار, ولا تدعه يراوح على مستوى شعار فارغ إلاّ من بعده اللفظي؛ فمكافحة الفساد من المرتكزات الأساسية التي تقوم عليها الحكومة والنظام الإسلامي، وهذا هو نهج أمير المؤمنين "ع"، فلم يكن "ع" يحابي الناس حتى أولئك الذين كانوا يطمعون به، فقد كافح الفساد حيثما وجده.

إننا لا نقوى على العمل كأمير المؤمنين "ع" ولا ندّعي ذلك البتة، ولسنا جديرين ــ وهذا ما أقصد به نفسي ــ أن نسير خلف أمير المؤمنين "ع"، ولكن علينا الاجتهاد، وعلى الجميع اعتباره ذلك من صلب واجبهم, لا أن تستنفر قوى الضغط لمجرد تصدّي إحدى الأجهزة لحالة من الفساد, أو أحد المفسدين, فتثير ضجيجاً وزوبعة من شأنها

---

[10] نهج البلاغة: 367 . كتاب: (53) من عهد له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي (رحمه الله) لما ولاه على مصر وأعمالها.

إرعاب السائرين في هذا الدرب، وينبغي ــ طبعاً ــ عدم الاهتزاز أمامها، بل لابدّ من المضي قُدُماً في هذا الدرب بكل عزم، فالله هو المعين والشعب هو سندنا.

ما أدركته هو أن لا شيء يسرّ الجماهير كتصدّي نظام الجمهورية الإسلامية للعتاة والمفسدين والطامعين والنفعيين، على طريق إحقاق الحقوق العامة لأبناء الشعب، ومجلس الشورى والحكومة والسلطة القضائية يتحمّلون المسؤولية في ذلك, وعليهم المضي والتحرّك في هذا السبيل، ولحسن الحظ فإن المرء يشاهد الآن إجراءات تتخذ في هذا الإتجاه، ولكن أشخاصاً هنا أو هناك ممن يتعيّن عليهم بذل معونتهم يتقاعسون أحياناً عن ذلك، آملين أن لا يدوم هذا التقاعس.

إننا حينما نحيي ذكر أمير المؤمنين "ع" فلابدّ أن يكون ذلك من أجل عملنا نحن، فلسنا قادرين على مطالبة الشعب باستمرار للعمل كأمير المؤمنين "ع"؛ فنحن اليوم حيث نتولّى مسؤولية في نظام الجمهورية الإسلامية إنما نتحمّل القسط الأوفر من المسؤولية وتنوء عواتقنا بتكليف جسيم، آملاً أن يحظى المسؤولون في الجمهورية الإسلامية بهذا التوفيق كأمير المؤمنين "ع" ويختطّوا ذات الدرب, ويتحركّوا إثر الخط والدليل الذي رسمته أنامل هذا الرجل العظيم.

آلام أمير المؤمنين (ع)

لقد عانى أمير المؤمنين "ع" مصاعب جمّة في هذا السبيل ــ واليوم يوم شهادة ذلك الرجل العظيم ــ ولعل ليس هناك من سمعه يبوح بشكاواه الأصلية خلال حياته، وإن كان "ع" كثيراً ما يشتكي القوم ويؤنّبهم من على المنبر، ولم تقتصر شكواه على مساءلة الناس على عدم توجّههم إلى ميادين الجهاد، فلقد كان قلب أمير المؤمنين "ع" يعتصر ألماً؛ ففي دعاء كميل[11] المعروف ــ وهو من إنشاء أمير المؤمنين "ع" ــ يخاطب "ع" رب العالمين "الهي وسيدي ومولاي ومالك رقّي ..."، ومن بين ما احتواه خطابه هذا المقطع الذي طرق سمعي ومخيلتي بفائق حساسيته: "يا من إليه شكوت أحوالي"، فلقد كان "ع" يبثّ شكواه إلى الله وكان فؤاده يطفح بالألم، وكان الهاجس الذي يقلق أمير المؤمنين "ع" يتعلق بوضع الأمة والمجتمع، ومسيرة الدين والاتجاه الديني في النظام الإسلامي الذي كان حديث عهد يومذاك، وكذلك شعوره بثقل مسؤوليته التي لم يفرط بواحد من الألف منها.

---

[11] مصباح المتهجد: 849 . وهو دعاء الخضر (ع).

لَمّا انهال السيف على رأس أمير المؤمنين "ع" وهو في محراب العبادة كانت العبارة التي سمعت منه وتناقلتها المصادر هي "بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، فزت وربِّ الكعبة"[12]! فتلك الليلة التي هي بمثابة العزاء والمصيبة بالنسبة للمسلمين جميعاً، تحوّلت إلى ليلة ظفر وسرور وفوز بالنسبة لأمير المؤمنين "ع" الذي كان على موعد معها، ويبدو أنها كانت ليلة جمعة؛ ففي بعض الروايات كانت ليلة التاسع عشر ليلة جمعة، فيما تقول روايات أخرى: إنّ ليلة الحادي والعشرين كانت ليلة جمعة، وفي تلك الليلة أفطر "ع" عند أم كلثوم بالصورة التي سمعتم بها, حيث اقتصر إفطاره على الخبز والملح ــ وهذا يعني الإفطار بخبز لوحده في واقع الأمر ــ حيث رُفع اللبن وبقي الخبز، فأمضى "ع" تلك الليلة بالعبادة حتى الفجر حيث دخل المسجد، بعدها رفع صوته مؤذناً ونزل إلى محراب الصلاة، وإذا بالمنادي ينادي أثناء الصلاة: "تهدمت والله أركان الهدى"! ومن المؤكد أنّ الناس كانوا قد فهموا المعنى من "تهدمت أركان الهدى"، بَيْدَ أنّ المنادي سرعان ما أردف تلك العبارة بأخرى توضّح مفهومها إذ نادى: "قتل علي المرتضى"[13].

صلى الله عليك يا أمير المؤمنين.

بسم الله الرحمن الرحيم

{قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد}

أللهم إنّا نسألك بمحمد وآل محمد أن تنزل أفضل صلواتك ورحماتك وألطافك على الروح الطاهرة لأمير المؤمنين.

اللهم اجعلنا من شيعته، ومُنَّ على مَنْ والى أمير المؤمنين أينما كانوا وفي أي منصب كانوا بالتوفيق والنصر، ووفّق محبّي أمير المؤمنين حيثما كانوا في الدنيا وأيّاً كان زيّهم وعنوانهم للاقتراب منه "ع" يوماً بعد يوم.

أللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأزح أعداء الإسلام والمسلمين ومَنْ ناصب العداء لصراط أمير المؤمنين عن طريق أولياء أمير المؤمنين "ع".

أللهم وأحبط ما يدبّرون وما يمكرون بالعالم الإسلامي.

أللهم مُنَّ على شعبنا العزيز بالمجد والعزة، وتفضّل على هذا الشعب المؤمن المضحّي بحل مشكلاته والمعضلات التي يواجهها.

---

[12] بحار الأنوار: ج42 ، ص 239.

[13] بحار الأنوار: ج42 ، ص 282.

أللهم أسبغ رحمتك ولطفك وعونك وتسديدك على كافة من بذل خدمته لهذا الشعب وللإسلام والمسلمين، ومُنَّ على قلوب أبناء الشعب باضطراد التآلف.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا أبي القاسم المصطفى محمد وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين لاسيّما علي أمير المؤمنين والصديقة الطاهرة سيدة نساء العالمين والحسن والحسين سبطي الرحمة وإمامي الهدى وعلى علي بن الحسين زين العابدين ومحمد بن علي باقر علم النبيين وجعفر بن محمد الصادق وموسى بن جعفر الكاظم وعلي بن موسى الرضا ومحمد بن علي الجواد وعلي بن محمد الهادي والحسن بن علي الزكي العسكري والحجة بن الحسن القائم المهدي "صلواتك عليهم أجمعين"، وصل على أئمة المسلمين وحماة المستضعفين وهداة المؤمنين.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأدعو المصلين الأعزاء لالتزام التقوى والانتهال من فيوضات هذه الأيام وما تبقّى من هذا الشهر المبارك الذي هو معين للفيض والفضل الإلهي، راجياً أن نفلح في بلوغ رضا الله ومغفرته فيما تبقّى من أيام هذا الشهر المبارك.

قضايا العالم الإسلامي المصيرية

من بين القضايا المهمة في العالم الإسلامي هناك قضيتان هما الأهم مما عداهما, وهما على تماس بشعبنا الإيراني وبمصالح بلدنا: إحداهما قضية أفغانستان, والأُخرى قضية فلسطين، وفي كلتيهما يبرز للعيان الهجوم على المسلمين؛ وقضية أفغانستان تسير في طريقها نحو الحل بأي نحو من الأنحاء، ونحن نتمنّى أن يتحقق ما فيه خير وصلاح الشعب الأفغاني بالسرعة الممكنة، غير أنّ كلا الشعبين المظلومين قد طالهما الهجوم خلال شهر رمضان؛ ففي مطلع هذا الشهر تواصل انهيال الصواريخ الأمريكية والبريطانية على رؤوس الشعب الأفغاني بكل قسوة وكثافة، فلم يرحموا الصائمين ولا الأطفال ولا النساء ولا الشيوخ، حيث استهدفوا في هجومهم المدنيين، وارتكبوا في بعض الحالات أفعالاً تعد من جرائم الحرب التي لا يطويها النسيان بل ستبقى ماثلة أبداً، من قبيل الهجوم على السجن ومقتل عدة مئات فيه والهجوم على المدنيين في مناطق متعددة.

وعلى الجانب الآخر الهجوم الذي شنّه حليف أمريكا ــ الكيان الصهيوني الغاصب ــ في غضون الأيام الأخيرة مستهدفاً فيه المدن الفلسطينية وأبناء هذه الأرض من المسلمين، مهاجماً بدباباته وطائراته المقاتلة ومروحياته وسفنه الحربية بيوت العزّل من المدنيين والأطفال والمدارس والمستشفيات.

إنها أوضاع مدهشة، وعلى الأمة الإسلامية أن تعيها بسرعة وتنسلخ عن غفلتها هذه؛ فالعالم الإسلامي بجميع مفاصله معرّض للهجوم، حيث إنّ هؤلاء قد صرّحوا: بأنهم لن يكتفوا بهذا البلد، بل سيهاجمون بلداناً أخرى، ويوردون اسم العراق والصومال، وكأن العالم الإسلامي قُدّر له أن يكون عرضة لهجوم من يلجون كافة الميادين لضمان مصالحهم تحت يافطة محاربة الإرهاب، لكنهم لا يكتفون بعدم التصدي لأعتى مؤسسة إرهابية في العالم ــ أي الدويلة الصهيونية ــ بل يقدّمون لها الدعم أيضاً، فإن كانت مداهمة بيوت الناس بالدبابات لا تعد إرهاباً، فما هو الإرهاب يا ترى؟!

على أية حال فإن كلتا القضيتين في غاية الأهمية، وإنني هنا أتناولهما ببضع عبارات من الحديث:

القضية الأفغانية وإبداء بعض الملاحظات

فيما يتعلق بأفغانستان: فإننا مسرورون؛ لما يُستشعر من تشكيل حكومة تحظى بقبول الأحزاب والقبائل والأقوام في أفغانستان, واستتباب السلام والاستقرار في هذا البلد؛ وخلاص الشعب الأفغاني المظلوم من المعارك الدامية المدمّرة التي دامت بضعاً وعشرين سنة, بمثابة البشرى العظمى بالنسبة لنا؛ لأنهم شعب مسلم نشاطره الهموم، ولأنهم شعب مجاور لنا, وأنّ ثبات الوضع والأمن في أفغانستان على صلة وثيقة باستقرار بلادنا وأمنها؛ وفي جميع الأحوال فإننا سعداء؛ لِما ينالهم من راحة.

ولابدّ ــ بطبيعة الحال ــ من أخذ بعض الملاحظات بنظر الاعتبار وهي:

الأولى: على أمريكا أن لا تحسب سقوط حكومة الطالبان نصراً سياسياً وفتحاً مرموقاً ومقتدراً لها، فلو لم يدخل الشعب الأفغاني ومختلف الفصائل الأفغانية التي كانت متوزّعة هنا وهناك إلى ساحة المواجهة ما كان بمقدور القصف الجوي إسقاط حكومة، وفي الحقيقة فلقد كان الدور الأوفر لأبناء الشعب الأفغاني، وإلاّ فلو لم يقتحموا ميدان المواجهة لكان على أمريكا استهلاك المزيد من الصواريخ وارتكاب الجرائم دون طائل.

الثانية: صحيح إنّ النيّة قائمة على ما يبدو على قيام حكومة موضع إجماع في أفغانستان بعونه تعالى، لكن هذا ليس من شأنه تناسي جرائم أمريكا في أفغانستان, فهي ستبقى ماثلة؛ لأنها لا تخصّ الشعب الأفغاني بمفرده، فالبشرية بأسرها ومن يحكمون

على سلوك الحكومات, ولهم رؤاهم بشأنهم ويترتب على رؤيتهم هذه أثر، يستنتكرون هذه الجرائم التي ستظل إلى الأبد دون أن يعتريها النسيان.

الثالثة هي: إننا لا نتدخّل في شؤون أفغانستان أبداً, ولا شأن لنا بمن يأتي ومن يرحل ومن يحل على رأس الأمور، لكننا ندعم الشعب الأفغاني؛ وذلك ما نهضت به الحكومة والشعب في إيران على مدى بضع وعشرين سنة, حيث لم يتوانوا عن بذل ما بوسعهم إزاء الشعب الأفغاني المسلم، وعمليات الإعانة التي جرت خلال الأسبوع المنصرم يستحق عليها شعبنا العزيز الشكر والتقدير، وأرى من واجبي أن أتقدّم بالشكر من الأعماق لكل الذين قدّموا هداياهم للشعب الأفغاني, والقائمين على هذه المهمة, والذين أبدعوا الفكرة وطرحوها، وهكذا كان الحال طوال السنوات الإحدى والعشرين الماضية حيث حظي الأفغان ــ سواء في داخل بلدهم أو الذين مكثوا بيننا ــ بدعم الحكومة والشعب في إيران.

إننا ندافع عن الشعب الأفغاني, ويجب أن تحظى هذه الحكومة بقبول من الشعب الأفغاني.

والرابعة: إنّ أية حكومة تقوم في أفغانستان وتتطلع للظفر بمساندة شعبها الذي ناء بأوزار خمس وعشرين سنة من الكفاح، عليها أن تضع في الحسبان أمرين هما: الإسلام والاستقلال، فشعب أفغانستان شعب مسلم متمسّك بمبادئ الإسلام فهي مهمة بالنسبة له؛ وأيّة حكومة تحاول إضعاف الإسلام والتوجّه الإسلامي إرضاءً للغربيين والأمريكان فلتعلم أنها ستسقط في أعين الشعب الأفغاني. وشعب أفغانستان ينشد الاستقلال، فهو شعب لا يطيق تواجد القوات الأجنبية الدخيلة.

وإن الضربة التي تلقّاها السوفيت في أفغانستان لم يتلقّوها في أي من بلدان الكتلة الشرقية؛ فلقد وقع في كل من هنغاريا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا ما يشابه قضية أفغانستان, حيث أنزل السوفيت قوّاتهم هناك، لكن أيّاً من شعوب هذه البلدان التي أنزل الاتحاد السوفيتي السابق قوّاته فيها واحتلّها عسكرياً لم يوجه للسوفيت مثل تلك الضربة التي أنزلها الأفغان بهم، وقد شاهدتم مؤخراً التعامل الحازم والصارم الذي أبداه الأفغان مع مرتزقة بعض الدول الأجنبية, وأثبتوا من خلاله رفضهم للتدخّل الأجنبي؛ فالذين سيقفون على رأس الحكم ويتصدّون لإدارة أفغانستان ــ ناهيك عمَّن يكونون والكيفية التي سيديرون بها البلاد ــ عليهم التمسّك بالإسلام والاستقلال في أفغانستان؛ كي يتسنّى لهم إعادة الاستقرار والأمان لهذا البلد.

والملاحظة الأخرى التي أشير إليها هي: على القبائل في أفغانستان ــ من بشتون وطاجيك وهزاره وهرات وأزبك وقزلباش, ومن أقليات وقبائل صغيرة ــ الاتحاد فيما

بينها والتخلّي عن الخلافات بشتّى صورها القبلية والقومية والدينية والطائفية، والتعايش فيما بينها, وتحمّل بعضها بعضاً؛ لتستطيع إعمار وبناء هذا البلد, الذي حوّله الأعداء إلى أطلال, وكرّسوا فيه العصبيات والخلافات الداخلية والتنازع على السلطة، وعليها التعاون والانسجام فيما بينها.

ليعلم الأمريكان والإنجليز أنهم لن يقدروا على البقاء في أفغانستان؛ طبقاً لِمْا تقتضيه مآربهم وأطماعهم، وليعلموا أنهم إذا ما أرادوا أن يسجلوا تواجداً على الأمد البعيد فسينبري لهم الشعب الأفغاني مجاهداً ويلقّنهم الضربات..

إننا نرفض أي تدخّل للسياسات السلطوية والعدوانية والتوسعية في أفغانستان، ولابدّ من أن ترصد الإعانات الدولية لإعمار أفغانستان بعيداً عن سياسات النفوذ والتغلغل.

التبجّح السافر للاستكبار في معارضة للإرهاب وتأييده لحقوق الإنسان

أما فيما يتعلّق بالقضية الفلسطينية، فإن ما ينبغي على العالم الإسلامي التنبّه إليه كثيراً هو: أنّ الغفلة التي أحاطت بالقضية الفلسطينية عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر والهجوم على المراكز الأمريكية في نيويورك وواشنطن واهتمام الشعوب بها وعلى أثرها بالقضية الأفغانية، أدّت ــ هذه الغفلة ــ بالكيان الصهيوني إلى استغلال هذا الإهمال بأقصى مداه؛ فالكيان الصهيوني وبعد ممارسات التضييق والجرائم المتوالية التي ارتكبها في غضون الأشهر القليلة الماضية تمادى في غيّه, بحيث أخذ يداهم منازل الفلسطينيين في داخل الأراضي الفلسطينية بتجهيزاته الحربية وبدباباته, ويقترف جرائمه دون وازعٍ؛ لقد استغلّ الصهاينة تلك الأحداث بأقصى مديات الاستغلال، فعلى الأمة الإسلامية التنبّه لذلك وأن تشعر بمسؤوليتها.

ومن البديهي ليس هنالك من ينكر اشتراك الحكومة الأمريكية في المسؤولية عن هذه الجرائم؛ فالأمريكان قَدِموا إلى أفغانستان وهاجموا شعبها تحت يافطة مكافحة الإرهاب, بعد أن اتّهموا نفراً من الناس بالإرهاب، لكنهم لم يكتفوا بعدم معارضة الإرهاب الذي يمارس بحق الشعب الفلسطيني فحسب, بل قدّموا له الدعم أيضاً! وفي ذلك عبرة بالغة للشعوب وللرأي العام العالمي.

ما الذي سيقوله هؤلاء؟ وأنّى لهم التفوّه بصفاقة عن حقوق الإنسان وحرية الشعوب وحقوقها؟! شعب آمن في دياره يعامل بمثل هذا التعامل الوحشي الشرس دون أن يواجه ذلك بمعارضة, بل يقابل بالتأييد! وللأسف فقد أخفقت الحكومتان الأمريكية والبريطانية كثيراً في امتحانهما أمام الرأي العام العالمي.

وإنني أعتقد أنّ المسؤولين الأمريكيين قد أخجلوا الشعب الأمريكي على مرّ التاريخ، وأنّ المسؤولين الإنجليز قد أذلّوا شعبهم وأخجلوه مدى تاريخه، فهؤلاء بالرغم من تزعّمهم لحكومات وشعوب, ورغم كل ما يتبجّحون به لا يكتفون بالتزام الصمت إزاء هذه الجريمة الإنسانية الفظيعة, وإنما يؤيّدونها أيضاً!

ومما يؤسف له أنّ الحكومة البريطانية اضطلعت الآن بدور الممهّد للسبل, والسمسار السياسي لأمريكا، فهذا النظام الاستعماري العجوز الذي لا تضاهيه دولة في تاريخه المهين على صعيد منطقتنا ــ فآثار الاستعمار البريطاني وجرائمه ماتزال شاخصة منذ قرن ونصف وحتى يومنا هذا، في شبه القارة الهندية وأفغانستان، وفي بلادنا والعراق وفلسطين وسائر الأمصار، ولن تمحى من ذاكرة هذه الشعوب وتاريخها ــ قد نزل اليوم من ذروة مجده السياسي, الذي يعود إلى عهده الاستعماري وتحوّل إلى ذَنَب وسمسار صغير ووسيط وتابع للسياسة الأمريكية, لا يتريّث في مساندة كل ما تنطق به، فحكومتا أمريكا وبريطانيا شريكتان في المسؤولية عن هذه الجرائم؛ وذلك بسبب تشجيعهما لدويلة الإجرام بشكل عملي.

إنّ هذه الممارسات لن تحلّ المعضلة التي يواجهها الصهاينة، والدويلة الصهيونية راكسة الآن في الوحل بالقدر الذي أعدمها الحيلة، فلا عاقبة تحمد من الاغتصاب والظلم والغطرسة، ولا مفرّ أمام الدويلة الصهيونية الغاصبة من أن تدهمها مثل هذه الدواهي، ولأيامها المقبلة أدهى وأمرّ؛ وإنّ ما يثير حنقهم هو الانتفاضة، وما يبذله الصهاينة والإدارة الأمريكية من مساعي ومحاولات، وجريهم هذا وما يهتدون إليه من سياسات، إنما كان رجاء أن يفلحوا في إخماد هذه الانتفاضة.

ماذا تعني الانتفاضة يا ترى؟ إنها نهضة شعب يصبو لنيل حقوقه؛ شعب اغتصبوا أرضه وسلبوا دياره وممتلكاته ومزارعه وأهانوه, وأخذوا يتعاملون معه كأقلّية ذليلة وهو في وطنه، شعب تقاعس حيناً من الدهر، ولكن ها هم شبيبته قد اقتحموا الميدان الآن، شباب شأنهم الإقدام وسط ساحة المواجهة نزلوا مسلّحين بالحجارة لمقارعة جيش مدجج بالسلاح فأعجزوه؛ فالكيان الصهيوني قد حاق به العجز بكل معنى الكلمة خلال هذه السنة وعدة أشهر التي مرّت على انطلاقة انتفاضة المسجد الأقصى؛ ومساعيهم جميعها إنما تصبّ في سبيل إخماد هذا النبراس المقدس وهذه الثورة الحقّة، ومن هنا تأتي ضغوطهم بحق الشعب الفلسطيني؛ فلقد مارسوا خلال هذه الأيام شتّى أصناف الضغوط بحق الشعب الفلسطيني الممتحن، وبالذات الأطفال في مدارسهم.

واجب البلدان والشعوب الإسلامية

إنّ الجميع يتحمّلون المسؤولية، الدول الإسلامية بالدرجة الأولى وفي المقدمة منها الدول العربية، وعلى ما يبدو أنه أضحى من المقرر انعقاد مؤتمر جامعة الدول العربية في غضون الأيام القليلة القادمة، ونحن نؤيّد انعقاد مثل هذه المؤتمرات؛ فعلى منظمة المؤتمر الإسلامي وجامعة الدول العربية أن تعكف على التفكير بشأن هذه القضايا، وسبيل المواجهة يتمثّل في توظيف ما يكتنزه العالم الإسلامي من طاقات وثروات وكثافة سكانية هائلة وقدرات, ومن صوت قوي في المحافل الدولية؛ للدفاع عن الشعب الفلسطيني، وعدم الاكتفاء بإصدار قرار أو التصريح ببضع كلمات، فليهددوا أمريكا بقطع العلاقات بكل أشكالها واتخاذ المواقف الصارمة، ولينا شدوا الحكومات الأوربية التدخّل، فاليوم يوم امتحان عسير بالنسبة للأوربيين والغربيين، وعليهم أداء امتحانهم في الدفاع عن حقوق الإنسان وعن الحرية ــ وذاك ما يتبجحون به ــ.

كيف يهمل الدفاع عن شعب يتعرّض لهذا الحجم من الظلم؟! لقد تفوهت بعض الدول الأوربية ببضع كلمات لا تعد كافية، فالمسؤولية تتحمّلها منظمة المؤتمر الإسلامي والدول الإسلامية.

إنني أقولها لكم يا أعزائي، أيها الشعب الإيراني العزيز، وللشعوب الإسلامية بأجمعها: إنّ الذي يقوى على تقرير المصير في هذا المجال ــ كما هو الحال في سائر المجالات ــ هو موقف الشعوب والرأي العام؛ فالشعوب هي التي ترغم الحكومات على هذا التحرّك؛ عبر ما تمارسه من ضغوط ومطالبات.

وإنّ يوم القدس على الأبواب، فعلى المسلمين أن يعبّروا في يوم القدس لهذا العام عن سخطهم على الكيان الصهيوني وحماته, وسخطهم على كل متخاذل وكل سياسة تنحو بهذا الاتجاه ويواجهونها بكل شدة، وهناك مسؤولية خاصة يتحمّلها علماء الإسلام ومثقفوه على امتداد ربوع العالم الإسلامي دون الأخذ بنظر الاعتبار الحنق الأمريكي إزاء أية مبادرة، وينبغي أن لا يدفع هذا الحنق بعالم أو مفتٍ في أي من البلدان الإسلامية لاتخاذ موقف منحرف عن الإسلام، ويا للأسف فقد شوهدت حالة أو حالتان من هذا القبيل مؤخراً في العالم الإسلامي!

على علماء الإسلام في الأمصار الإسلامية ومثقفي الإسلام، وعلى الشعراء والخطباء والكتّاب والفنانين والطلبة في جميع أنحاء العالم الإسلامي أداء دورهم في الدفاع عن الشعب الفلسطيني، فالمسؤولية مسؤوليتهم، ولهذه الأدوار أثرها وبمقدورها تقديم العون لهذا الشعب المظلوم.

لا تكفي التصريحات والكلمات؛ والمواقف الحاسمة التي تتخذها الشعوب هي الأمضى تأثيراً من الكثير من أنواع الإعانات، وإنها لمسؤولية نسأل الله تعالى أن يوفق الجميع للنهوض بها.

إنني على ثقة بأن يوم القدس لهذا العام ــ وهو تراث خالد خلّفه إمامنا العظيم ــ سيكون أكثر حماساً وشمولية مما مضى ــ كما كان في العام الماضي أكثر حماساً مما سبقه ــ وسيعلن فيه العالم الإسلامي موقفه الصريح إزاء الصهيونية الغاصبة، وإنّ الصهاينة سيلفظون أنفاسهم الأخيرة يوماً بعد يوم؛ فهذه العنجهية لا تعد دليلاً على القوة الحقيقية، والدويلة الغاصبة تقترب يوماً بعد آخر وتدريجاً من نهاية حياتها المتمخّضة عن الاستبداد والغطرسة، وسيشهد العالم الإسلامي ذلك اليوم الذي تدار به فلسطين على أيدي أبنائها بعونه تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم

{إذا جاء نصر والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً}.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته